كان الحكيم متعطشاً إلى الثقافة ، نهماً فى قراءتها ، فلقد كان الحكيم يطلب الأدب لا على الطريقة التى عُرِف بها عند شعراء الإحياء وكتّابه ، بل فى هيئة أخرى أو قالب جديد هو القالب المسرحى بطريقة تختلف عن الطريق الذى سلكه شوقى فى مسرحه الشعرى .

وقد عبر عن تمزقه بين تياراتها بقوله : « لست أدرى : أمن سوء حظى أو من حسنه ، أنى أعيش الآن فى أوروبا ، وسط هذا الاضطراب الفكرى ، الذى لم يسبق له مثيل ؟ فهذه الحرب الكبرى قد جاءت فى الفنون والآداب بهذه الثورة التى يسمونها «المدرنزم » ؛ فكان لزاماً علىَّ أن أتأثر بها ، ولكننى - فى الوقت ذاته - شرقى جاء ليرى ثقافة الغرب من أصولها ، فأنا موزَّع الآن كما ترى بين « الكلاسيك » و « المودرن » . لا أستطيع أن أقول مع الثائرين : فليسقط القديم ؛ لأن هذا القديم أيضا جديد علىّ »[٢] .

ولذلك كان الحكيم أكثر تحديداً فى مطالبه من الغرب . . أن يفهم و يتعلم ثم يقول كلمته فيما تعلم . ولذلك كان يبدأ من الجذور الأولى للحضارة تاركاً نفسه تفهم وتحس وتتفاعل مع